يجد المتتبِّع للدراسات المعنية بتأريخية الأصوات اللغوية وبخاصة الباحثة في عراقة الأصوات وفقًا للفصائل اللغوية، أنّ النون صوت مستخدم في اللغات السّامية كلها، فضلا عن وروده في اللغة الفرعونية –أشهر اللغات الحاميّة – وحضوره في اللغة السنسكريتية –أشهر اللغات الهند أوربية– فأغلب الدارسين لأصوات السّاميات نصّوا على هذا، كما أكدّ آخرون أنّ اللغة العربية لم تخسر أيّ حرفٍ من حروف اللغة السّامية الأم وبقيت محافظة على النون السامية. بغضِّ النظر عن تعدد سماتها كان **التنـوين** أبرز السمات التي تميّزت بها عن غيرها من اللغات باعتبار أنه" إلحاق نون ساكنة في آخر الاسم لفظا لا خطًّا"، في حين يعتبر التميَّيم "إلحاق ميم ساكنة في آخر الاسم" [1] ؛إلاّ أنه كان للمستشرق الألماني برجشتراسر–BERGSTRESSER – رأيٌ آخر بخصوص هذه الظاهرة فهو يرى أن التّنوين ليس خاصًّا باللغة العربية فحسب إنّما له جذور في اللغات السامية الأخرى ؛وبيّن له دليله في ذلك إذ يقول في "كتابه التطور النحوي للغة العربية": "فمثالها أن الميم الأصلية في أواخر الكلمات صارت نونًا عربية وذلك أن قلب الميم نونا مُطرِّد من جهة أنه حصل في كثير من الكلمات، لكنه مُقيّد من جهة أنه اقتصر على أواخر الكلمات فقط، ولم يتعدّاها إلى أوائلها ولا أواسطها مثاله التنوين، فإن أصله ميم كان في الأكدية ، والسبئية مثل:[بَيْتٌ baitun، بَيْتٍbaitin، بَيْتًا baitan، أصلها بَيْتُم baitum، وبيتِم baitim ، وبَيتَم baitam] .[2]

[1]– ينظر:هشام الأنصاري،شرح قطر الندى وبّل الصدى،المكتبة التجارية الكبرى، ط11 ، 1963م، ص16.

[2]– برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1414هـ–1994م، ص17.

وبعد أن يطرح هذه الظاهرة ويناقشها مع استعراضه لكثير من آراء النحاة العربية يخلص إلى القول بأنّ: " أكثر ضلالات النّحويين واللغويين القدماء نشأ عن جهلهم باللغات السامية."[1]

في حين نجد أنّ الدكتور – يعقوب بكر– قدَّم طرحا غير الذي عرضه "برجشتراسر" يقول: "أن التمييِّم في العربية الجنوبية القديمة وفي اللغة الأكدية (في العصور القديمة أيضا) كان للتنكير وأنه يجب عدم الخلط بينه وبين ظاهرة التنوين في عربيتنا الحديثة، فكلتاهما ظاهرة خاصة.[2]

كما يؤيد هذا الرأي "جورجي زيدان" و"الزمخشري"؛ أمّا الأول في قوله "أنّ الميم في اللغة العربية القديمة كانوا يستعملونها للتنكير، كما نحن نستعمل التنوين للتنكير، وكانوا كذلك يزودونها في آخر الكلمة للتوكيد كابنمْ وزُرقمْ"[3]

ومِن هنا نخلُص إلى أن التمييم في اللغة العربية الجنوبية القديمة يغاير التّنوين في عربيتنا وليس هو امتداد لها كما ذكر ذلك برجشتراسر.فالنون صوتٌ مجهور متوسط بين الشدّة والرخاوة، حيث يقول سيبويه:"ومنه حرفٌ شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غُنّة من الأنف، فإن مخرجه من أنفك واللسان لازم لوضع الحرف. لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون والميم، إلاّ أنه هناك فرق جوهري بين الميم والنون إذ أن طرف

[1]– المرجع السابق ،ص17.

[2]–عوض مرسي جهاوي، ظاهرة التنوين في اللغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1982م، ص33.

[3]– المرجع نفسه،ص26.

اللسـان مـع النـون يلتقـي بأصـول الثنايـا العليـا وأن الشـفتين مـع المـيم همـا العضـوان اللـذان يلتقيان"[1].

وفـي محاولـة لمعرفـة الفـرق بـين هـذه النـون والتنـوين قـام الـدكتور "عـوض مرسـي جهـاوي" بتجربـة قصـد معرفـة حقيقـة التنـوين فسـجل جملتين: الأولـى بهـا تنـوين والثانيـة بهـا نـونٌ سـاكنة وهمـا: "ملـكٌ تـرى، ولـمْ تكُـنْ تـرى" ، وخـرج فـي الأخيـر بقولـه: "فوجـدت أنّ الحزمتين التـي ترمز الأولـى منهـا إلـى التنـوين، والثانيـة إلـى النـون السـاكنة متسـاويتان، كمـا أن المسـافة بـين مركـزي الحـزمتين وبـين ابتـداء الصـوت متسـاوية كـذلك، فيكـون ذلـك دليـلا على تساوي الصوتين من الناحية النطقية."[2]

ومـن خـلال هـذه التجربـة وعلـى الـرغم مـن بسـاطتها أثبـت أنـه لا فـرق بـين التنـوين والنون الساكنة من الناحية النطقية.

[1] ينظر: عبد القادر البار، أهمية الجانب الصوتي في تحديد الدلالة اللغوية– ظاهرة التنوين– ،مذكرة ليسانس، مخطوطة، معهد اللغة العربية وآدابها ،جامعة باتنة، باتنة – الجزائر، 1993م – 1994م ،ص40.

[2] – المرجع السابق، ظاهرة التنوين في اللغة، ص28–29.